القسم الثاني

النقد وتصنيف النص الروائي

1. التَّصنيف .. المصطلح والدلالة :

التَّصنيف ممارسة اهتمَّ بها الإنسان، وطوَّرها على مرِّ التاريخ، لقد اهتمَّ الإنسان منذ القديم بتصنيف المعرفة، وبذل الفلاسفة المفكّرون جهوداً لوضع نُظم لهذا التَّصنيف[1] والحقّ أنّ تصنيف المعرفة ومحاولة اجتراح نظام يَحْكُم مختلف ألوانها، يقوم على افتراضات أربعة أساسية هي[2] :

- افتراض وجود نظام طبيعي عالمي، من شأنه إنْ اكتُشف أن يُبيِّن الإطار العام الّذي يحكُم المعرفة الإنسانية بجميع فروعها ومكوّناتها، ولعلّ ذلك ما يميِّز جهود الرُّواد (أفلاطون، أرسطو...).
- يتميَّزُ ذلك النظام ببناء تنازلي، بحيث يتمُّ الانتقال من الجنس إلى النوع، ثمّ القِسم، أي من الأعلى إلى الأسفل، أو من العام إلى الخاص.
- يتأسّس على تَلمُّس درجات التشابه والاختلاف في الوحدات أو العيّنات الّتي يتكوَّن منها مجال التَّصنيف.
- تَدْخلُ الصفات والخواص المميِّزة لتلك العيِّنات، ضمن الوحدة التَّصنيفية المشتغل عليها وتُعتبر جزءا جوهريا، ومكوِّنا أساسا فيها، بحيث لا تتغيَّرُ تلك الصفاتُ لأنّها دائمة وبعيدة عن كلّ اعتبار مؤقت أو عَرَضي.

غير أنّنا نتحفّظ على الافتراض الرّابع، لأنّه لا ينطبق على كلّ ألوان المعرفة، فهو وإن أثبت نجاعته في مجال العلوم الدّقيقة، فإنّه من المستحيل التّعامل به -إلاّ في حدود ضيِّقة- في مجال العلوم الإنسانية، الّتي تنبني أساسا على النسبيّة والحركيّة والتَّغيُّر الدائم، وفي مجال الإبداع الرِّوائي مثلا لا يصِّحُ البتّة القول إنَّ نوعا روائيا معيَّنا، تَتواتَرُ في كلّ نصوصه مميِّزات بعينها، وأنّ تلك المميّزات تتشكلّ من تفاصيل دقيقة، تتوفّر عليها كلّ النصوص المصنّفة ضمن هذا النّوع أو ذاك، فالرّواية التاريخية Roman historique على سبيل المثال تختلف في بنائها ودلالاتها، وفي مدى استثمّارها للنصوص التاريخية، كما تختلف في الغاية المرجوّة من ذلك الاستثمار، وفي الدّافع الّذي يحرِّك صاحبها، وفي النسغ الّذي يُغذِّي متنها الحكائي.

---

(1) برجس عزام، مدخل إلى علم التَّصنيف في المكتبات، مطابع الصباح، ط1، 1985، ص 14.

(2) ينظر : المرجع السابق، ص 15/14.

لسنا هنا بصدد معالجة التَّصنيف بمفهومه البدائي (الترتيب، الرّصف، الفهرسة)، إنّ التَّصنيف الّذي نقصدُه هو ما يُطلِقُ عليه توماس كَنْتْ Thomas Kent نقد النوع [1]

ولكن وقبل الخوض في ذلك، نقترح العودة إلى الجذر اللغويّ لمفردة التَّصنيف في معجم لسان العرب، حيث جاء في هذا الأخير في مادّة (ص، ن، ف) : صنف، الصِّنف : النوع والضّرب من كلّ شيء، والجمع أصناف وصنُوف. والتَّصنيف : تمييز الأشياء بعضها من بعض، وصنّف الشيء : جعله أصنافا [2].

يلاحظ الباحث في هذا الباب أنّ الدّلالة المعجمية للتّصنيف تكاد تطغى على دلالته الاصطلاحية الشائعة اليوم، ففي مجال علم المكتبات، وهو حقل يمارس المهتمُّون به التَّصنيف بمعنى الرصف والترتيب والفهرسة، تكاد كلّ التعاريف تُجمع على أنّ التَّصنيف يعني عملية الفرز والغربلة الّتي تهدف إلى ترتيب الأشياء، والوحدات والمجموعات ضمن أقسام وأصناف، بعد رصد الخصائص المشَكلّة للصنف الواحد استنادا إلى معايير متعارف عليها، تُسهِّل العملية وتضبطها وتُضفي عليها طابع العلمية، ولعلّ التعاريف الآتية تؤكّد ذلك:

- التَّصنيف "هو العملية الّتي تُقسَّمُ بها أيَّة مجموعة من المواد إلى مجموعات فرعية، بحيث تتكوَّن كلّ مجموعة من وحدات ذات صفات أو خصائص متجانسة تجعلها نوعًا محدّدا..." [3].
- التَّصنيف "هو تقسيم المعرفة إلى أبواب وفصول وفروع وأنواع وأجناس، في محاولة لبَيَان العلاقة الّتي تربط كلّ منها بالآخر موضحا مكان كلّ علم بالنسبة للعلوم الأخرى، كلبنة في بناء المعرفة ككلّ، ونعني بكلّ ذلك ترتيب العلوم في مجموعات متميِّزة، وفي تسلسل ووفقا لنظام معيَّن..." [4]

---

1 ينظر: دراسة المهمَّة : تصنيف الأنواع، ضمن : مجموعة من المؤلفين، القصة الرواية، المؤلف، ترجمة وتقديم خيري دومة، مراجعة : سيد البحراوي، دار شرقيات للنشر والتوزيع –القاهرة، ط1، 1997، ص .ص 73/55.

2 ينظر : ابن منظور، لسان العرب، دار صادر –لبنان، ط1، باب الصاد، مادة (ص ن ف)، ص 293.

3 أبو الفتوح حامد عودة، المدخل إلى علوم المكتبات، دار الثقافة العلمية الإسكندرية، مصر، د.ط، 2001، ص89.

4 برجس عزام، مدخل إلى علم التَّصنيف في المكتبات، ص64.

- التَّصنيف "هو الترتيب أو التقسيم المنظّم لأيّة مجموعة من الأشياء، ووضعها في عدد من الفئات، وضمّها إلى بعض نظرا لما بينها من ترابط أو صفات مشتركة"[1].

هذه التعريفات ورغم أنّها مستقاة من مراجع مختلفة، تكرِّر لازمة واحدة وهي ضرورة أن تتَّحد المجموعات المصنَّفة في خصائص معيَّنة تجمَعُها، وهو الأمر الّذي تُلفيه في الكثير من الدراسات والمعاجم الأدبية والنقدية المتخصِّصة، خاصة المُهْتَمَّة بالإبداع الرِّوائي.

يقترح سعيد علوش في **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، ثلاثة مصطلحات متقاربة في الدلالة هي : التَّصنيف compilation، التَّصنيفية taxonomie والنمطولوجية typologie،[2] فكلّها تشترك -في اعتقاده- في سعيها إلى استخلاص نظام معيَّن من خلال ملاحظة جملة التّقاطعات الموجودة بين مجموعات محدَّدة من المواضيع أو الأفكار أو الأشياء، أمّا لطيف زيتوني صاحب **معجم مصطلحات نقد الرّواية**، فيركّز على تصنيف النص الروائي ويؤكّد أنّ قدرة "الرّواية على استخدام كلّ أساليب الخطاب وأنواعه، وعلى قبول اللهجات الشائعة في زمن حكايتها"[3] جعلتها جنسا أدبيا يصعب تحديد بنيته الشكلّية والدلالية، ما أدّى إلى تعدُّد واختلاف محاولات تصنيفها، وعليه فإنّ تصنيف النصوص الأدبية هو البحث في الملامح المشتركة بين مجموعة من النصوص، وقد تكون تلك الملامح المشتركة شكلّية أو مضمونية[4]، أو شكلّية مضمونية في الوقت نفسه.

أي إنّه "نشاط نظري تحليلي عماده تبويب النصوص الفردية، وتجميعها في أجناس محدّدة بناءً على السمات المميّزة لها، وانطلاقا من مُصَادَرة أولية تُقرّ بأنّ الأدب

---

1 عبد اللطيف صوفي، مدخل إلى علم البيبليوغرافيا والأعمال البيبليوغرافية، دار المريخ للنشر- المملكة العربية السعودية، د ط، 1995، ص141.

2 ينظر : سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب العربي -لبنان ، وسوش برس- الدار البيضاء المغرب، ط1، 1985، 135، ص222.

3 لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرّواية، مكتبة لبنان ناشرون -لبنان، ط1، 2002،ص56.

4 ينظر : محمود غنايم، العبر نوعية في الأدب العربي الحديث (سقوط العصمة والقداسة عن الفن القصصي)، مجلة الكرمل -أبحاث في اللغة والأدب، العدد : 24/23، 2003/2002، ص194.

ليس ركاما من النصوص المفردة، بل هو مجموعة ما بينها من علاقات[1]، هذه العلاقات وتلك السمات هي ما يُطلِق عليه تودوروف (المبدأ الفاعل)[2]، أي المهيمنات المتعدّدة بتعدُّد المنطلق التَّصنيفي، والّتي من خلالها نستطيع تصنيف جملة من النصوص ضمن جنس أدبي Genre littéraire معيَّن، أو ضمن نوع أو نوع فرعي.

إنّنا وبُغية رفع اللبس عن الترتيب الّذي استخدمناه هنا (جنس،نوع،نوع فرعي) نصرِّح أنّنا سنتبعُه طيلة المحطات المقبلة من البحث لغاية تعليمية تبسيطية تُجنّب القارئ ما لمسناه من اختلاف على الأقل في المراجع الّتي حصلنا عليها فبعضها يستخدم التقسيم الآتي (جنس Genre، جنس فرعي Sous-genre)، وبعضها يقول بالنوع والنوع الفرعي، في حين تَستخدم دراسات أخرى (صنف،أصناف)، (نمط،أنماط)، والحق أنّ هذه الاختلافات تنشأ أساسا عن الترجمة المتعدّدة للمصطلحات المتقاربة، كما قد يكون من أسبابها أنّ كلّ حقول المعرفة الإنسانية يَفهمُ المُشتَغِلُون في فضائها التَّصنيف وفق ما يُناسب الحقل المعرفي، ففي مجال تحليل الخطاب مثلا تَكْمُن إحدى مهامه "في تصنيف الخطابات الّتي تُنتَج في المجتمع"[3]، ويُتَرجم ذلك على أنّه نمذجة للخطابات Typologie des discours ، وفي الوقت نفسه يُترجم بـ (أنماطية الخطابات) [4]، أمّا دراسات أخرى فيبتعد أصحابها عن المصطلحات المتداولة، ويؤكّدون على وجود علم التَّصنيف الّذي يقوم على "عملية تجميع النصوص على أسس مشتركة من صفات الشكلّ والتركيب والموضوع لتسهل دراسة النصوص"[5] ، ومعرفة صلات قرابة مُفْتَرَضَة الوُجُود بينها، وعليه تكون عملية التَّصنيف مبضعا من شأنه -إن استُعمِل على أسس علمية صلبة- أن يُمكّن من تحديد هوية النّص قبل تقديمه للقرّاء العاديين، بل إنّ بعض تلك الدّراسات ترفض

---

1 مجموعة المؤلفين، معجم السرديات، إشراف : محمد القاضي، دار محمد علي للنشر -تونس، ط1، 2010، ص130.

2 ينظر : مجموعة من المؤلفين، القصة الرّواية المؤلف، مذكور، ص41.

3 دومونيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم -ناشرون بيرون ومنشورات الاختلاف الجزائر-الجزائر، ط1، 2008، ص133.

4 وردت الترجمة الأولى ضمن : مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب (مذكور)، ص133، أمّا الثانية فوردت ضمن : باتريك شارودو ودومينيك مانغونو وآخرون : معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا للنشر والتوزيع- تونس، د. ط،2008،ص574.

5 عبد الستار جبر الأسدي، حدود الأفق المفتوح (قراءة في خريطة تجاور الأصناف الأدبية)، مجلة علامات المغرب، العدد : 18 ،ص33.

مصطلحات مثل الجنس والنوع والنمذجة، فالقول بتجنيس النص قد يُفهم منه مَنحُ النص جنسا معيَّنا، أمَّا التَّصنيف -وهو الركيزة الّتي تقوم وتدعو إليها- فدلالته الأساس وضع النص ضمن مجموعة من النصوص الّتي يَشتَرِك معها في خصائص معيّنة شكلّية أو مضمونية أو شكلّية مضمونية معا، أضف إلى ذلك أنّ التَّصنيف باستطاعته احتواء جميع الوحدات (جنس،جنس فرعي، نوع،نوع فرعي، نمط،نمط فرعي ...إلخ)[1]

ويذهب الحماس بأصحاب هذا الطرح مذهبا بعيدا فيدعون مثلا إلى "إنشاء مؤسسة غير نقدية تُعنى بتصنيف النصوص الأدبية، ودراسة مكوِّناتها التابعة لعلم التَّصنيف الأدبي، ويُطلَقُ على القائم بأعمالها لقب مُصَنِّف وليس ناقدا ..."[2]، غير أنّ الحماس والانتصار لقضايا الجنس/ النوع، وبعبارة أدق لنظرية الأجناس/ الأنواع الأدبية لا ينبغي أن يدفعنا إلى قبول مثل هذه الدعوة، فالمصنِّف لا يستطيع إلاّ أن يكون ناقدا، إذ لا مخرج أمام الناقد إلاّ معرفة الجنس التعبيري الأساس الّذي ينتمي إليه النَّص المُشْتَغَل عليه، ولا مخرج كذلك أمام من يُسمّيه صاحب هذه الدعوة مُصنِّفا إلاّ أن يتسلَّح بخبرة الناقد وحمولته المعرفية وترسانته المصطلحية لحظة محاولة تحديد المبدأ الفاعل (على حدّ تعبير تودوروف)، أو السمات الأساسية المشتركَة الّتي تُمكِّننا من القول إنّ هذا النص : قصيدة شعرية أو رواية أو قصّة قصيرة أو مسرحية ... إلخ.

ولأنّنا نسعى في هذا البحث إلى تقديم إحاطة سريعة بتصنيف النص الرّوائي، وبعد أن أشرنا باقتضاب إلى المفهوم العام للتصنيف، نعتقد أنّه لا بُدّ من الإشارة إلى بعض محطّات تاريخ التَّصنيف مع التوسُّع بعض الشيء في الحديث عن قضية تصنيف النصوص الّتي تُعتبَر الرّواية إطارها الأجناسي الأساس إلى أنواع مثل : الرّواية التاريخية Roman historique ، رواية السيرة الذاتية Roman autobiographique ، رواية الخيال العلمي Roman de science fiction إلخ، ثمّ إلى الأنواع الفرعية بالإضافة إلى ضرورة تقديم المعايير والآليات المعتمَدة في

1 ينظر : عبد الستار جبر الأسدي، حدود الأفق المفتوح (قراءة في خريطة تجاور الأصناف الأدبية)، ص40 (الهامش رقم 03).
2 نفسه، ص نفسها.

عملية التّصنيف، وهي آليات تختلف باختلاف الدارسين والمنطلقات الّتي تحرّك دراساتهم.

2. تصنيف النّص الرّوائي ..عودة إلى قضية جنس/نوع :

إنّ أيّ دراسة تروم تصنيف النتاج الرّوائي يجب أن تنطلق من قناعة انتمائها إلى حقل بحثي يسميه النقاد حقل الأجناس الأدبية (الأنواع الأدبية)، أو بعبارة الأخرى نظرية الأجناس/ الأنواع الأدبية، وتقوم دراسة كتلك على ضرورة فهم عميق لكلّ ما تعلّق بالجنس الأدبي، فهذا الأخير -كما سيتّضح بعد قليل- كان ولا يزال في صلب اهتمامات الدراسات النقدية حتى تلك الّتي رفضَته.

تُترجم اللفظة Genre بالجنس كما تُترجم بالنوع وتُحيل "في أصولها اللاتينية على معنيي الأصل Genus والولادة"[1]، وسنلاحظ من خلال التعاريف الّتي سنوردها أنّ هذه الأخيرة تشترك في جمعها بين تعريف الجنس الأدبي وتعريف نظرية الأجناس الأدبية، فكلّ بحث في الجنس أو النّوع الأدبي يقتضي ضبط حدوده ومجمل تماساته مع أجناس أخرى، كما يقتضي إعمال آليات معيّنة تمكّن من قراءته في حدوده وفي علائقه وهاهنا يتجلّى فعل التّصنيف.

استنادا إلى ما ذُكِر نستنتج أنّ "الجنس من أقدم المقولات في الفكر الأدبي، فقد لوحظ مبكّرا امتلاك بعض الأنماط النصية أو الخطابية لبنية خاصة، وارتباطها بهذا الظرف أو ذاك من واقع الحياة واشتراطها على المتلقي موقعا معيّنا"[2]، وفي هذا تلميح بيّن إلى ما يمارسه التأطير الأجناسي -مثلا- على القارئ إذ يُوجِّهُه إلى إقامة فعله القرائي على المتعارف عليه في الحياة الأدبية، ونقصد بالتأطير الأجناسي الوصف المصاحب للنصوص الأدبية (قصة، رواية، شعر، نصوص ...) بغض النظر عن مصدره (المؤلف، الناشر...)، وسنعود إلى هذا في المحطات المقبلة من العمل.

يُعرِّف سعيد علوش الجنس/ النوع بقوله : يُشير النوع إلى طبقة خطاب، يتمُّ التعرُّف عليها بفضل مقاييس اجتماع-لغوية ... والنوع والجنس تنظيم عضوي

---

1 مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، إشراف محمد القاضي، ص30، ويراجع أيضا : رالف كوهن، التاريخ والنوع، ضمن : القصّة الرّوائية المؤلف، ص25.

2 ميشال كلّوفينسكي، الأجناس الأدبية، ترجمة : ياسين ساوير المنصوري، مجلة نوافذ، النادي الأدبي الثقافي بجدة، العدد 38، نوفمبر 2007، ص35.

لأشكال أدبية"[1]، ولعل تلك المقاييس هي الّتي ستؤدّي لاحقا إلى تعدّد أنماط التّصنيف، وهذا ما يؤكّده تودوروف في قوله: "إنّ كلّ نوع هو طريقة محدّدة من بناء العمل كلّه والوصول به إلى الاكتمال"[2] فاكتمال نوع/ جنس معيَّن لا يمكن أن يتحقّق إلاّ بصورة نسبية لأنّ مقولة الجنس "مَرِنَة الحدود"[3]، خاصة عندما يتعلق الأمر ببعض الأجناس الأدبية الّتي تستعصي على التّصنيف، ولا أدلَّ على ذلك من حالة الرّواية.

يقوم كلّ بحث في قضايا الجنس الأدبي على علاقة وطيدة مع نظرية الأجناس الأدبية، فهي "المكان الّذي يتحدّد فيه مجال الأدب وتعريفه"[4] والّذي من بين أبرز مكوِّناته أنّه نسيج غير مُنْتَه من النتاجات الّتي تمارس فيما بينها حوارية لا تنتهي، إنّ دوغلاس غلوفر Douglas Glover الّذي يربط بين الجنس الأدبي ونظرية الأجناس الأدبية بقوله إنّ "الجنس الأدبي .. ضرب من النماذج"[5]، إنّما يُقرُّ بأصالة البحث في تكوّن وتطوّر الأجناس الأدبية، كيف لا وتلك قضية أثيرة في تاريخ نظرية/ نظريات الأدب انطلاقا من إسهامات أفلاطون وإلى أيامنا هذه.

وفي مقابل مصطلح جنس/ نوع أدبي Genre Littéraire، يستخدم بعضهم مصطلح جنس/ نوع الخطاب Genre de discours'[6] للدلالة على دراسات حداثية تُعنى بتصنيف مختلف أنواع الخطاب الأدبي وغير الأدبي.

إنّه من المتعارف عليه تميُّز الطرح الباختيني في مجال الرّواية، والملاحظة نفسها نُسجِّلها هنا فباختين لحظة اشتغاله على قضايا ذات صلة بالجنس/ النوع الأدبي يقترح مصطلحا لم نُلْفِه في الدّراسات الأخرى وهذا المصطلح هو "الكرونوتوب Chronotope وهو نوع زماني مكاني، ويتضمَّن طقما من المظاهر المحدّدة الخاصة

---

1 سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص223، ويُراجع التعريف نفسه -تقريبا في الجزء الأوّل منه- ضمن : محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة (دراسة ومعجم)، الشركة المصرية العالمية للنشر-مصر، ط3، 2003، ص37.

2 تزفيطان تودوروف، ميخائيل باختين المبدأ الحواري، ترجمة فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر -لبنان، ط2، 1996، ص158/157.

3 إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين -تونس، د ط، 1986، ص125.

4 جان ماري سشيفر، ما الجنس الأدبي؟، ترجمة غسان السيد، اتحاد كتاب العرب -دمشق، د ط، دت، ص15.

5 دوغلاس غلوفر، الرّواية كقصيدة شعرية، ترجمة : الجيلالي الكدية، مراجعة : حميد لحميداني، مجلّة دراسات سيميائية أدبية لسانية (سال)-المغرب، العدد : 05، خريف (شتاء1991) ص36.

6 ينظر : لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرّواية، ص67، ويراجع : -باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص574، ودومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص67/66.

بالزمان والمكان في النوع الأدبي، ويرادف الكرونوتوب لدى باختين كلّمة النوع الأدبي[1]، وقد اجترح باختين هذا المصطلح واستخدمه في معرض رصده لتطوّر الأنساق القصصية عبر مختلف تحوّلاتها التاريخية والفنية من العصر الإغريقي إلى العصر الحديث الّذي حفلت الدراسات النقدية فيه بالاشتغال والتطوير المستمر لنظرية الأنواع الأدبية، وقد وجد في مصطلح الكرونوتوب وسيلة يجمع فيها بين عنصرين قصصيين هما : الكرونو (الزمان) والتوبو (المكان)[2]، ويُسْتَنْتَجُ من طرح باختين أنّ كلّ نوع يتميّز بكرونوتوب خاص يتجلّى في بنيته الزمكانية.

إنّ تميُّز كلّ نوع قصصي بكرونوتوب خاص يكْمن في العلاقات التقنية المجرَّدة بين الفضاء والزمان لذلك فكلّ تغيُّر يطرأ على أحد العنصرين ينجرُّ عنه تغيُّر يطرأ على العنصر الآخر[3]، ألا تلاحظ معي أنّ قصص وروايات الخيال العلمي والحكايات الخرافية، والرِّوايات التاريخية، وقصص المغامرات، والروايات البوليسية، والرّواية الشطارية، وقصص الرعب والسير الشعبية ... كلّها تقتضي استعمالا خاصا للعنصر الزمكاني، ففي روايات الخيال العلمي ولأنّ الزمن فيها مستقبلي غير واضح بالنسبة لأبناء الحاضر، فإنّه يتطلّب بنية مكانية خاصة تتميّز بأمور غير مألوفة لنا، والطرح نفسه يصطلح لوصف الكرونوتوب الخاص بالأنواع آنفة الذِكر.

ويقدِّم باختين أثناء تمييزه بين الجنس/ النوع الأساس، والجنس/ النوع الفرعي مصطلحا جديدا يطلقه على الأنواع الفرعية، وهو مصطلح المغاير Variante ويدلُّ هذا المصطلح على النوع المميّز داخل الجنس التعبيري الأساسي، ومن ذلك بالنسبة للرواية، مغايرات : رواية المشكلّات، الرّواية التاريخية، الرّواية النفسية .. كلّ واحدة هي مغاير متفرِّع عن الرّواية -الجنس[4]، وهذا ما تطلق عليه دراسات أخرى مصطلح نوع فرعي ...

---

1 تزفيتان تودوروف، ميخائيل باختين، المبدأ الحواري، ص159/158 وص 210، ويراجع أيضا -محمد عنّاني، المصطلحات الأدبية الحديثة، ص09.

2 مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، ص355.

3 مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، ص355.

4 ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة : محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع -مصر، ط1، 1987، ص30.

أدّت كثـرة الدراسـات المهتمّـة بـالجنس/ النـوع الأدبـي ومـن خلالـه بنظريـة الأجناس/ الأنواع الأدبية إلى اطمئنان البعض إلى كون "النوع الأدبـي مؤسّسـة، كمـا أنّ الكنيسة أو الجامعة أو الدولة مؤسسة..."[1] تحكُمها قوانين ثابتة ومعايير تصنيفية قـارّة، ولكنّ ذلك أصبح لاغيا خاصة مع استمرار ظهور تيارات التجديـد في الأدب والنقـد، وانفتاح الحدود بين الأجناس التعبيرية، وبينها وبين ألـوان المعرفـة الإنسـانية المختلفـة، لأجل ذلك لم يكن غريبا أن يعلن موريس بلانشو M.Blanchot، أنّ "الكتـاب وحـده هو ما يهمّنا، كأنّه يقف وحده بعيدا عن الأنواع وبمعـزل عـن العبـارة الواصـفة : نثـر، شعر، رواية، شهادة ... وذلك بطريقة يتأبّى معها الكتاب عن التّصنيف، ويتنكّر للقـوة الّتي تدفعه إلى تحديد مكانه وشـكلّه ..."[2]، أي أنّ الكتـاب أضـحى أكثـر تميُّـزا مـن الجنس الّذي تَحكُمه قواعد خارج-أدبية تنتمي إلى مجالات معرفيـة أخـرى ووفـق هـذا الطرح "لم يَعد الكتاب محكوما بالانتماء إلى جـنس معـيّن بقـدر مـا ينتمـي إلى الأدب فحسب، كما لو أنّ هذا الأخـير يمتلـك وحـده الأسـرار والتراكيـب"[3]، ويُعـزى هـذا الأمر بالأساس إلى اختفاء الحدود بين الأجناس الأدبية الّـتي تعـرف الآن تـداخلا فيمـا بينها جعل من الصعب تصنيفها تصنيفا نهائيا.

والحق أنّ رفض مقولة الجنس الأدبي والتنكّـر لعمليـة التّصـنيف يُعـدّ في حـدّ ذاته استمرارا لهذه الأخيرة الّتي لم تتوقف يوما، رغم الاختلاف الّذي يَسِم الجهود الّـتي تنتمي إلى نظرية الأجناس الأدبية وبعبارة أعم إلى نظرية الأدب، هذا الاخـتلاف الّـذي يُمكننا ردُّه إلى أسباب كثيرة نذكر من بينها [4]:

- إنّ النص الأدبي متميّز ويكمنُ تميُّـزه في انفتـاح الدلالـة فيـه وفي تـأثُّره بسـياق التواصل الّذي يشترك فيـه قَصْـدُ المؤلـف مـن جهـة وفهـم القـارئ وممارسـاته التأويلية من جهة أخرى.

---

1 رينيه ويلك وأوستن وارين، نظرية الأدب، ترجمة : محي الدين صبحي، مراجعة : حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - لبنان، ط2، 1981، ص237.

2 تزفيتان تودوروف، الأنواع الأدبية، ضمن القصة الرّواية المؤلف، ص44.

3 موريس بلانشو، اختفاء الأدب، ترجمة رشيد مرون، مجلة نوافذ، النادي الثقافي بجدة-السعودية، العدد 22، ديسمبر 2002، ص104.

4 ينظر : مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، إشراف محمد القاضي، ص132.

- اضطراب الهوية النصية في انتمائها إلى قديم متعارف على بعض أسسه -على الأقل- أو إلى جديد طارئ لم تُضبط القواعد الّتي ينبني عليها.
- تَعمُّد بعض الكتاب الخروج عن دائرة المألوف وسعيهم إلى التميُّز عن طريق كسر نمطية السائد.
- الجمع بين الأجناس في نص واحد أو بعبارة أخرى محاولة اصطناع جنس أو أجناس جامعة ميزتها الأساس تداخل الأجناس.

ولكن هذه الصعوبات وأخرى لم تَحُل دون وجود محاولات تصنيفية في الثقافتين العربية والغربية قديما وحديثا، ففي ثقافتنا العربية مثلا نستطيع استحضار جهود كثيرة نذكر منها مثلا في مجال الشعر جهد ابن قتيبة في **الشعر والشعراء**، وابن سلام الجمحي في **طبقات فحول الشعراء**، أمّا في الثقافة الغربية فيُعدُّ "تصوّر الأجناس الأدبية عند أفلاطون ومن بعده أرسطو أقدم المحاولات التَّصنيفية، وأكثرها تأثيرا في الدراسات اللاحقة بهما" [1]، فأفلاطون ورغم أنّه أقصى الشعراء من جمهوريته إلاّ أنّه قدّم تصنيفا للشعر اليوناني أساسه طرائق التلفظ أو بعبارة أخرى (مصدر الصوت)، فكان أن قسَّم الشعر اليوناني إلى :

- السرد الخالص : ويؤدّيه الشاعر.
- المحاكاة : وتُقدَّم بأصوات الشخصيات.
- المشترك : ويتداخل فيه صوت الشاعر مع أصوات الشخصيات. [2]

أمّا أرسطو صاحب كتاب **فن الشعر** فيوصف تصنيفه بأنّه "تراتبي معياري يضارع ما قام عليه المجتمع اليوناني من تراتبية وتقسيم للناس إلى نبلاء وعبيد وشرفاء وأراذل" [3] لأنّ أرسطو ومن خلال اعتباره الشعر محاكاة وأنّ المحاكاة تمثيل لأفعال الإنسان عن طريق الشعر، أكدّ أنّ الإنسان إمّا أن يكون أحسن من الشخص العادي، وإمّا أن يكون مثله، وإمّا يكون أدنى منه، واستنادا إلى ذلك "خلص أرسطو إلى أنّ

---

1 مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، إشراف محمد القاضي، ص130.

2 ينظر : جيرار جينيت، مدخل لجامع النص، ترجمة : عبد الرحمن أيوب، دار الشؤون الثقافية العامة -العراق، ودار توبقال -المغرب، د ط، 1985، ص16.

3 مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، إشراف محمد القاضي، ص131.

أجناس الشعر هي المأساة والملحمة، والملهاة والمحاكاة الساخرة" [1] .ولكنّه اهتمّ أكثر بالمأساة لأنّها فعل بطولي، وأشار إلى الملهاة، وأهمل المحاكاة الساخرة.

لن نُفصِّل القول في إسهامات أفلاطون وأرسطو ومن جاء بعدهما (نورثروب فراي، تودوروف ... إلخ) في تصنيف الأجناس الأدبية لأننا نروم التركيز على تصنيف النص الرِّوائي دون غيره، لأنّه موضوع بحثنا الأساس، ولعلّ التساؤل الّذي يفرض نفسه في هذه المحطة من البحث هو : ما هي آليات وطرائق تصنيف النص الروائي؟

3. تصنيف النص الروائي .. الآليات والطرائق :

إنّ كلّ الإسهامات المتعلقة بنظرية الرّواية بالإضافة إلى ما جاء به تيار الرّواية الجديدة وانعكاسات كلّ ما يطرأ على الرّواية الغربية على الرّواية العربية يحيل إلى فكرة قارة فحواها تأكيد صعوبة وضع الرّواية في خانة معيّنة، واستحالة وصفها أو تعريفها تعريفا جامعا مانعا، لأنّه "وكما كانت تعريفات الرّواية متنوِّعة متضاربة متعدِّدة المنطلقات والمقاييس، كانت التصانيف كذلك ..." [2] وتتميّز تلك الإسهامات بكثرة الاختلافات في النظر إلى الرّواية انطلاقا مع لوكاتش G.Lukàcs ،مرورا بجولدمان L.Goldman، وباختين M.Bakhtine، بالإضافة إلى ما قال به آلان روب غرييه A.Robbe-Grillet، ونتالي ساروت Nathalie Sarraute ، وميشال بيتور Michel Butor ، وصولا إلى تأثّر الرّواية العربية بكلّ ذلك.

هل يصِحُّ بعد الّذي سبق أن نتساءل عن آليات وطرائق تصنيف الرّواية ونحن نعلم أنّها "تقع في رافد كلّ الأنواع" [3] وأنّ ذلك يجعل من الصعب ضبط حدودها وانتماءاتها إلى حقول مجاورة لها، ومن أجل دقّة أكبر (انتماءات حقول مجاورة لها)، فالمعروف عن الرّواية أنّها الجنس التعبيريّ الأكثر قدرة على استثمّار منجزات مختلف الأشكال الأدبية والمعرفية، إنّنا نعتقد أنّه من الضروري -قبل الحديث عن آليات

---

1 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2 مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، إشراف محمد القاضي ، ص136.

3 مجموعة من المؤلفين، الأدب والأنواع الأدبية، ترجمة : طاهر حجّار، دار طلاس للنشر والتوزيع-دمشق، ط1، 1985، ص126.

وطرائق التَّصنيف- أن نعرف الجدوى من تصنيف الرّواية إلى أنواع ثمّ إلى أنواع فرعية.

لا جدوى قبل معرفة ذلك من التذكير بقِدم عملية التَّصنيف، وبأنّ البشرية مارسته حتّى أضحى طبيعة فيها، ولكنّ الجدير بالذِكر هو أنّ تصنيف الرّواية يقع في صميم اهتمامات النقد الروائي، إن لم يكن محرّكا أساسا له، ويُعزى ذلك -في اعتقادنا- إلى أمرين : أنّه من غير المنطقي أن يتعامل الناقد مع نص أدبي دون أن يضع اليد على حقله الأجناسي فلكلّ جنس أدبي آليات تحليل معيّنة، وأنّ النقد بوصفه طريقة لإنتاج المعرفة لا يستطيع مهما حاول التنصُّل من بُعده التعليمي، لأنّ إنتاج المعرفة يقتضي تقريبها بأكثر بساطة ممكنة إلى مستهلكيها، دون أن يُفهم من ذلك اعتقادنا أنّ النقد مجبر على التخلي عن كونه خطابا معرفيا يروم تأثيث فضاءاته بما يُتيح له التأسيس لرُقيه وازدهاره مقابل رقيّ وازدهار حقول معرفية أخرى، إنَّ "تصنيف الرّواية إلى أجناس روائية فرعية [يُعَدُّ] إجراء منهجيا هدفه السعي إلى محاصرة التنوُّع الكبير الّذي تتَّسم به الروايات، وضبط ضروب الاختلاف بينها بتقسيم النصوص مجموعات صغرى..."[1]، والمثير في ذلك أنّه لا وجود لمجموعات صغرى قارة، ويُردُّ ذلك إلى اختلافات أشرنا إليها، وهي الاختلافات الّتي ينتج عنها أنواع كثيرة من التَّصنيفات نذكر منها :[2]

- التَّصنيف المضموني ويعتمد أساسا على الموضوع (المحتوى)
- التَّصنيف الهرمي و يتميَّزُ بالانتقال من العام إلى الخاص..
- التَّصنيف الإحصائي وهدفه وضع قائمة تحدِّد الأنواع الموجودة.
- التَّصنيف الانتقائي التحليلي وينهض على إجراء مقارنة بين الأنواع المتقاربة بُغية رصد أوجه التشابه والاختلاف بينها.
- التَّصنيف التأسيسي ويُعزى إلى كلّ من تودوروف وجيرار جينيت وأساسه مناقشة السائد من التَّصنيفات سعيا إلى اقتراح تصنيف جديد.

---

1 مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، إشراف : محمد القاضي، ص136.

2 ينظر : فتيحة عبد الله، إشكالية تصنيف الأجناس الأدبية في النقد الأدبي، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدّة، ج55، مجلد14، ص354، ويراجع : مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، ص132.

- التَّصنيف من وجهة نظر التلقي.

ونستطيع إضافة التَّصنيف التركيبي، أي ذاك الّذي يجمع نوعين أو أكثر في صنف أو اتجاه واحد كالقول مثلا بالرّواية السيرذاتية، بالإضافة إلى التَّصنيف الجغرافي أو الإقليمي، والتَّصنيف الزماني أو التحقيبي.

إنّ اختلاف طرائق النظر إلى الرّواية والتعامل معها ورغم تَسَبُّبِه في كثرة التَّصنيفات، لا يُعتبر نقيصة البتّة لأنّنا لو "سلكنا إلى جميع الروايات مدخلا واحدا، متوقّعين أن يكون الاهتمام منصبًّا على أشياء محدّدة في كلّ مرّة، فلسوف نجد أنفسنا مستغرقين فيما لا طائل من ورائه"[1]، لأنّ ذلك يتنافى وطبيعة الرّواية الّتي تميل إلى إقامة علائق كثيرة مع الأجناس الأدبية الأخرى، وكذلك مع ألوان المعرفة الإنسانية مثل التاريخ.

تختلف الأنواع الروائية والأنواع الروائية الفرعية باختلاف طرائق التَّصنيف والمعايير المعتمدة ويمكن القول إنّ معوقات تصنيف الأجناس الأدبية هي نفسها معوقات تصنيف النص الروائي، ويمكن اختصارها في الآتي : [2]

- الوفرة الكمية للنصوص الروائية.
- تفرُّد بعض الأعمال وعدم قابليتها التَّصنيف وفق المتعارف عليه.
- خرق الأدب المعاصر بصفة عامة للسائد وسعيُه الحثيث إلى اجتراح الجديد.
- تعدُّد المقاييس المتَّبعة في التَّصنيف واختلافها.

ونُضيف إلى ما سبق استحالة إقامة نظرية أجناسية بمقاييس دقيقة لأنّ ذلك يتعارض وخصوصية الأدب.

الأكيد أنّ الأنواع الروائية كثيرة ومتعددة تعدُّد الدارسين وتعدّد منطلقاتهم والمعايير الّتي يعتمدون عليها والأهداف الّتي يرومون تحقيقها، ولتِبيان ذلك سنعرض الآن جملة ما ذُكر من أنواع روائية في بعض المعاجم العربية لمصطلحات الأدب، لأنّ هذه الأخيرة إنّما تعتمد في جمع مادتها على ما يُذكر من مصطلحات وتعريفات في

---

1 روجر ب.هينكلّ، قراءة الرّواية (مدخل إلى تقنيات التفسير)، ترجمة : صلاح رزق، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع –القاهرة، د ط، 2005، ص75.

2 ينظر : فتيحة عبد الله، إشكالية تصنيف الأجناس الأدبية في النقد الأدبي، ص353 وص355.

الدراسات النقدية مع الاستعانة بالترجمة عن معاجم غربية، والمعاجمٌ الّتي سنستعملها في ذلك هي على التوالي (**معجم السرديات**) الّذي أشرف عليه الناقد التونسي (محمد القاضي) ، و(**معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**) لسعيد علوش، ومعجم (**المصطلحات الأدبية**) لإبراهيم فتحي.

يقدِّم أصحاب (معجم السرديات) لحظة حديثهم عن مصطلح (رواية) قائمة تضُّم عشرين نوعا روائيا نورده في الآتي : [1] (لقد أضفنا أمام كلّ نوع فرعي المقياس المتّبع في التَّصنيف أو نوع التَّصنيف وجعلنا ذلك بين قوسين كيما نفصل بينه وبين ما يصطلح على النوع الروائي).

- رواية استباق Roman d'anticipation، ويقصدون بها رواية الخيال العلمي (المضمون)
- رواية أطروحة Roman à thése (المضمون)
- رواية بوليسية Roman policier (المضمون)
- رواية تاريخية Roman historique (المضمون)
- رواية تربوية Roman pédagogique (المضمون)
- رواية ترسلية Roman épistolaire (تصنيف تركيبي)
- رواية تعلُّم -رواية التربية-رواية التكوين- Roman d'apprentissage (المضمون)
- رواية ذات أدراج Roman à tiroirs (المضمون الشكلّ)
- رواية رعوية Roman pastoral (المضمون)
- رواية سوداء Roman noir -فرع من رواية المغامرات، (المضمون)
- رواية سير ذاتية Roman Autobiographique ويشترط فيها توفر ميثاق سير ذاتي، (تركيبي)
- رواية سيرية Roman biographique / رواية شخصية R.personnel/ تخيل ذاتي Autofiction لا اشتراط للميثاق السير ذاتي في هذا النوع. (تصنيف تركيبي/ شكلّي)

---

1 ينظر : مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، إشراف : محمد القاضي، صص229/207.

- رواية شطار Roman Picaresque (مضمون - شكلّي)
- رواية عتيقة Roman Antique (زماني/ تحقيبي)
- رواية فلسفية Roman Philosophique (المضمون)
- رواية قصيرة Novella (شكلّي، كمي)
- رواية مسلسلة Roman Feuilleton (تصنيف أساسه الطريقة الّتي نُشر بها العمل)
- رواية مغامرات Roman d'aventures يُعْتَبَرُ السفر فيها قيمة قارة (مضموني/ شكلّي)
- رواية نَهْر Roman Fleuve (كمي صِرف)
- رواية وثائقية Roman document (مضموني شكلّي)

نستنتج من خلال ذلك ما يلي :

معجم السرديات -مجموعة من المؤلفين- إشراف محمد القاضي						
عدد الرّواية	المصنفة اعتمادا على كلّ معيار	9أنواع	4أنواع	3	2	1
مقياس التّصنيف	مضموني	×				
	مضموني شكلّي		×			
	تركيبي			×		
	كمي				×	
	زماني					×
	طريقة النشر					×

أمّا معجم المصطلحات الأدبية لصاحبه سعيد علوش، فتضمّن أكثر من عشرة أنواع روائية هي[1]:

- الرّواية التاريخية (مضمون)،
- رواية الخيال العلمي (مضمون)
- الرّواية التراسلية (تركيبي)،
- الرّواية السياسية (مضموني)
- الرّواية السيكولوجية / تيار الوعي (مضموني شكلّي)،
- الرّواية العاطفية (مضموني)
- رواية الفنان/ سير ذاتية (تركيبي)،
- رواية المغامرات (مضموني)
- الرّواية المقنّعة/ الرّواية المفتاح (مضموني)،
- رواية تكوّن البطل (مضموني)
- الرّواية الأطروحة (مضموني)

ونلخّص استنتاجاتنا في الجدول الآتي :

سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة				
مقياس التصنيف		عدد الأنواع الروائية		
		8	2	1
	مضموني	×		
	تركيبي		×	
	مضموني/ شكلّي			×

1 ينظر : سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص ص 106/103.

في حين يذكر إبراهيم فتحي في (معجم المصطلحات الأدبية) الأنواع الروائية الآتية :1

- الرّواية التاريخية (مضموني).
- – رواية تكوين الشخصية (مضموني).
- رواية حياة الفنان (مضموني).
- – الرّواية ذات المفتاح (لا يوضح صاحب المعجم مقياس التّصنيف).
- رواية ذات طابقين (كمي).
- – الرّواية ذات المشكلّة (مضموني).
- الرّواية الرخيصة (المضمون + السعر).
- – الرّواية (الدراما) السوسيولوجية (مضموني)
- الرّواية العصرية الجديدة (شكلّي).
- – رواية الغرب الأمريكي Western (مضموني/ مكاني).
- رواية القصص (لم يذكر صاحب المعجم مقياس التّصنيف).
- الرّواية القصيرة (كمي/ شكلّي).
- الرّواية النفسية (مضموني).

وتتوزع في هذا المعجم مقاييس التّصنيف على الأنواع على هذا النحو :

إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية							
مقياس التصنيف		عدد الأنواع					
		6	1	2	1	1	1	1
	مضموني	×						
	كمي		×					
	غير واضح			×				
	مضمون + سعر				×			
	شكلّي					×		
	مضموني مكاني						×	
	شكلّي/ كمي							×

1 ينظر : إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، ص. ص 186/176.

إنّ التَّصنيف الأكثر استعمالا في المعاجم الثلاثة هو التَّصنيف المضموني، ثمّ يليه التَّصنيف المضموني الشكلّي والتَّصنيف التركيبي، والظاهر استنادا إلى ذلك أن تصنيف الروايات يتمُّ "من خلال تتبّعنا لمحتوى الرّواية والطريقة الّتي نُسجت بها" [1] مع ضرورة تسجيل امتعاضنا الشديد من اعتماد سعر الرّواية أو طريقة نشرها آلية من آليات التَّصنيف لأنهما معطى غير ثابت.

قبل الانتقال إلى عرض أهمّ الإسهامات الغربية في التَّصنيف الروائي سنذكُر أكثر أنواع التَّصنيف ذيوعا وهي على التوالي : - التَّصنيف المضموني - التَّصنيف المذهبي - التَّصنيف الشكلّي - التَّصنيف التركيبي، لأنّ التَّصنيف الروائي عامة ينبغي أن "يسعى دون أن يتخلّى عن مبدأ البحث عن العنصر المهيمن في الصيغة والشكلّ والمضمون، إلى إبراز مظاهر التداخل والتقاطع بين النزعات الأجناسية في النص الروائي راصدا التخوم الّتي يحتضنها ذلك النص بين جنس فرعي وجنس آخر أو بين الرّواية وأحد الأجناس الأدبية الأخرى" [2]، لأنّ التَّصنيف وفق هذا الطرح سيتجاوز الاستكانة إلى مقياس واحد، وسيوجِد أنواعا روائية أكثر قابلية للاتفاق النقدي عليها، أو على الأقلّ الاتفاق النسبي على بعضها، **ومن بين أهمّ الأنواع التَّصنيفية ما يلي** : [3]

1- التَّصنيف المضموني : الأساس الّذي ينبني عليه هذا النوع من التَّصنيف هو مضمون النص الروائي، والأنواع الروائية الّتي تَنتُج عنه كثيرة نذكر مثلا : الرّواية العاطفية، والرّواية التاريخية، والرّواية التربوية...

2- التَّصنيف المذهبي : يسعى هذا التَّصنيف إلى تلمّس العناصر المميّزة لرواية ما، والّتي تُترجِم مقوّمات مدرسة أو مذهب أدبي بعينه، ومثال ذلك القول بالرّواية الرومانسية..

---

1 روجر ب.هينكلّ، قراءة الرّواية (مدخل إلى تقنيات التفسير)، ترجمة : صلاح رزق، ص76.

2 مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، ص138.

3 ينظر : ساندي سالم أبو يوسف، الرّواية العربية وإشكالية التَّصنيف، دار الشروق للنشر والتوزيع -عمان الأردن، ط1، 2008، ص48 وص49.

3- التَّصنيف التركيبي : وقوامه رصد تداخلات محتملة الوجود بحكم الطبيعة الحوارية -على حد تعبير باختين- المميّزة للرواية ومن بين أبرز الأنواع الروائية المنضوية تحت هذا التَّصنيف : الرّواية السير ذاتية، والرّواية الدرامية...

4- التَّصنيف الشكلّي : لَبِنَتُه الأساس استنتاج البنى الفنية المشكلّة لمعيارية النص الروائي كالحديث عن إهمال الشخصية الروائية وكسر نمطية الزمن في الرّواية الجديدة...

4. الإسهامات الغربية في التَّصنيف الروائي :

الغرب مهدُ الرّواية، الجنس الأدبي المتعارف عليه بكلّ خصوصياته وبمراحل تطوّره وبمختلف تشكّلاته، ومهد النقد الروائي بكلّ نظرياته ومصطلحاته، والأهمّ بآفاقه المنفتحة على جديد يطرأ على المشهد الثقافي في كلّ لحظة، ليس غريبا أن نقول بعد ذلك إنّ الغرب هو مهد المحاولات التَّصنيفية الأولى للنص الروائي.

يُعتبر جورج لوكاتش أوّل وأبرز من نظّر للكتابة الروائية، وأهم ما يميّز تنظيراته – خاصة في مرحلة البدايات- أنّه ربط من خلالها "الجنس الأدبي بالتطور الحضاري والطبقي .. في كتابه (نظرية الرّواية) بمقولته الّتي أخذها عن هيجل القائلة بأنّ الرّواية هي ملحمة بورجوازية"[1]، بالإضافة إلى ذلك يتميّز لوكاتش بالتَّصنيف الّذي قدّمه للرواية والّذي اعتمد فيه على مقياس ركيزتُه معرفة درجة وعي البطل الروائي بما يدور حوله، **وقد قسم لوكاتش الرّواية إلى الأنواع الآتية** :[2]

- رواية المثالية التجريدية : ويكون فيها وعي البطل الإشكالي ضيقا لا يستوعب مشاكلّ العالم وتعقُّد الراهن.

---

1 فتيحة عبد الله، إشكالية تصنيف الأجناس الأدبية في النقد الأدبي، ص151.

2 ينظر : جورج لوكاتش، الرّواية، ترجمة : مرزاق يقطاس، ص23.

ويراجع كلّ من : - محمد ساري : البحث عن النقد الأدبي الجديد، ص ص 25/21.

- مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، ص 137/136.

- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة : محمد برادة، ص13و14. (مقدّمة المترجم)

- رواية رومانسية الأوهام، أو رواية رومانسية انجلاء الوهم، ويكتفي بطل هذا النموذج أو هذا النوع الروائي بخلق حياة داخلية تُغنيه عن عالم مثقل بالتناقضات.
- الرّواية التعليمية أو رواية التربية : وهي محاولة للتركيب بين النوع الأول والنوع الثاني أي بين تناقضات العالم وتعقُّده وبين الحياة الداخلية للبطل.

ويقدِّم ميخائل باختين تصنيفا مغايرا لتصنيف جورج لوكاتش من ناحية عدد الأنواع الرّواية، ومن ناحية المقياس المعتمد في التَّصنيف، لأنّ باختين يَعتَبر الرّواية "نتاج امتزاج الأنواع جميعها" [1] وسنعرض اللحظة ثلاث قوائم تصنيفية، قائمة وردت في كتابه (الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة) بالإضافة إلى قائمتين تحدّث عنهما تودوروف في كتابه (ميخائيل باختين المبدأ الحواري ترجمة فخري صالح)، فأما القائمة الّتي وردت في الخطاب الروائي فتضّم الأنواع الروائية الآتية : [2]

1. نصوص العصر القديم.
2. الرّواية السوفسطائية.
3. رواية القرون الوسطى.
4. رواية الفروسية.
5. الرّواية الباروكية.
6. الرّواية الرعوية.
7. الرّواية الغزلة.
8. رواية السيرة.
9. رواية السيرة الذاتية.
10. رواية الاختبار.
11. الرّواية الرسائلية.
12. الرّواية الشطارية.
13. رواية الإثارة.

---

1 تزفيتان تودوروف، ميخائيل باختين (المبدأ الحواري)، ترجمة : فخري صالح، ص163.

2 ينظر : ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة : محمد برادة، ص19. (مقدمة المترجم)

14. الرّواية الهزلية.

15. رواية التكوين والتعلّم.

16. رواية المغامرة.

17. رواية الاعترافات.

ويتحدّث تودوروف عن قائمتين ضمّتا الأنواع الروائية الآتية : [1]

- **القائمة الأولى :**

1. الرّواية السوفسطائية.
2. رواية المغامرات والحياة اليومية.
3. رواية السير الذاتية وتنقسم إلى : الرّواية البلاغية، والسِيَر التحليلية.
4. قصص الرومانس الفروسية.
5. أنواع أقل شأنا من العصور الوسطى وعصر النهضة.
6. رواية رابليه.
7. الرّواية الإقليمية.
8. الرّواية الروسية : نسبة إلى جان جاك روسو.
9. رواية العائلة.
10. رواية اختبار الشخصية.
11. رواية التكوين.

- **القائمة الثانية :**

1. رواية الرحلات.
2. رواية اختبارات البطل والمحن الّتي يمرّ بها.
3. رواية السير الذاتية.
4. رواية التعلّم وتكوين الشخصية.

ويضيف تودوروف إلى هذه القائمة الأخيرة تعليقا فحواه أنّ المقياس المعتمد هو بناء صورة الشخصية الرئيسية، والملاحظ في العمل التّصنيفي لدى باختين أنّه اعتُمدت فيه مقاييس كثيرة ومختلفة ما أدى إلى اختلاف في تسمية الأنواع الرّوائية، فمن

1 ينظر : تودوروف، ميخائيل باختين المبدأ الحواري، ص172 و173.

اعتماد مقياس المضمون في روايات (الاختبار، والرّواية الهزلية، ورواية الإثارة، ورواية العائلة...) إلى اعتماد التَّصنيف التركيبي في (رواية السيرة الذاتية، والرّواية الرسائلية، ورواية الرحلات...)، مرورا باعتماد مقياس زماني (نصوص العصر القديم، أنواع أقلّ شأنا من العصور الوسطى وعصر النهضة،...) ومقياس مكاني (الرّواية الإقليمية) ومُبرِّرُ هذا اعتقادُ باختين أنّ الرّواية "جنس يستعصي بطبيعته على أيّ تصنيف" [1] مهما كانت طبيعة المقياس المتَّبع.

وذلك الاختلاف في التَّصنيف لدى باختين وغيره من روّاد التَّصنيف الروائي في الغرب من شأنه أن يبرِّر إلى حدّ كبير اختلاف التَّصنيفات الروائية العربية، فالنقد الروائي العربي كان ولا يزال -للأسف- معتمدا في تعامله مع النصوص الروائية العربية على مقاييس، وآليات أنتجها الغرب واستهلكها هو مع بعض التعديلات الّتي تُنسب إلى النص الإبداعي لا إلى العمل النقدي فالقول على سبيل المثال بالرّواية المشرقية والرّواية المغاربية أو تصنيف الرّواية بحسب القطر الّذي ينتمي إليه صاحبها، أمر واقع وليس معرفة أنتجتها فعل نقدي يحوز مقومات خاصة وغير مقلّدة.

أمّا ألبير يس فلم يعتمد مقاييس معيّنة في تصنيف الرّواية، بل جمع بين مقاييس شتّى وقدّم قائمة طويلة بجلّ الأنواع الروائية الّتي صُنّفت ضمنها الرّواية الأوربية، وهي قائمة تضمُّ أكثر من أربعين نوعا روائيا من بينها : [2] الرّواية الشمولية، الرّواية الريفية، الرّواية المتسلسلة، رواية الأرض، الرّواية التقليدية، الرّواية المسيحية، الرّواية الستندالية، الرّواية القروية، رواية الأصوات المتعددة، الرّواية الوطنية، الرّواية التاريخية القومية، الرّواية الانطباعية، رواية المصير ... إلخ.

ويطالعنا ميشيل زيرافا Michel Zéraffa ،بقائمة أنواع روائية أطلق عليها (نماذج الكتابة الروائية الكبرى) [3] وتضمّ الآتي :

---

1 مجموعة من المؤلفين، موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، ج9، ترجمة مجموعة من المترجمين، إشراف رحوي عاشور، المجلس الأعلى للثقافة -مصر، ط1، 2005، ص226.

2 ينظر : مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، ص136. ويراجع: - ساندي سالم أبو سيف، الرّواية العربية وإشكالية التَّصنيف، ص23و24.

3 ينظر : ميشيل زيرافا، الرّواية، ضمن : مجموعة من المؤلفين، الأدب والأنواع الأدبية، ترجمة : طاهر حجار، ص ص 181/164.

- البكاريسك أو الرّواية الشطارية، الرّواية التكوينية التربوية، الرّواية التاريخية، رواية الرعب، الرّواية البوليسية، وكلّها أنواع روائية ذُكرت في القوائم السابقة.

ويقترح روجر بـ.هينكلّ Roger.B.Henkle تقسيم الرّواية إلى أربعة أنواع رئيسية هي : [1] الرّواية الاجتماعية ومقياس التّصنيف هنا هو المضمون، كما في النّوع الّذي يليه وهو الرّواية النفسية، أمّا ما يسمّيه الرّواية الرمزية والرّواية الرومانسية الجديدة فمقياس تصنيفها مذهبي صِرف.

ويذهب أبيي سي فانسنت l'abbe ci vencent، إلى أنّ الرّواية تنقسم إلى سبعة أنواع هي: رواية المغامرات، والرّواية العاطفية، والرّواية المتّصلة بالتحليل النفسي أو بالتحليل الخلقي، والرّواية ذات الهدف أو الرسالة، والرّواية الخاصة بالعادات والأخلاق والرّواية التاريخية، ويخلص بعد ذلك إلى أنّ كلّ تلك الأنواع يجوز أن تصنّف ضمن أنواع رئيسة هي: الروايات الطبيعية، والروايات الواقعية، والروايات المثالية [2]

إنّ من بين أبرز التّصنيفات الغربية للرواية ما قام به الناقد الانجليزي إدوين موير صاحب كتاب (**بناء الرّواية**)، وتأتي أهمية هذا الإسهام من اعتماده مقياسا شكلّيا خالصا، فصاحب هذا التّصنيف تناول الرّواية من حيث البناء الفني الّذي تقوم عليه الرّواية مستخلصا الأنواع الروائية الآتية: [3]

- رواية الحدث، الرّواية الدرامية، رواية الشخصية...، إلى غير ذلك من التّصنيفات الّتي لم تستطع رغم كثرتها وأهميتها التأسيس لفعل تصنيفي واضح المنطلقات متقارب النتائج، وهذا يعزى أساسا -كما سبق وأشرنا- إلى طبيعة الرّواية الّتي كانت ولا زالت وستبقى عصية على كلّ تصنيف.

لا يمكن اعتبار هذه الإشارات إحاطة شاملة بالجهود الغربية في تصنيف الرّواية، إنّ هي إلاّ محاولة أردنا من خلالها عرض بعض الإسهامات لدى بعض النقاد الغربيين، ومبتغانا الأساس من هذا التمهيد الحديث عن بعض الإسهامات العربية في

---

1 ينظر : روجر بـــ.هينكلّ، قراءة الرّواية، ترجمة صلاح رزق، ص76.

2 ينظر: أبيي سي فانسنت، نظريّة الأنواع الأدبية، ترجمة وتعليق: حسن عون، منشأة المعارف-الاسكندرية، د.ط، د.ت، ص .ص 436/430.

3 ينظر : إدوين موير ، بناء الرواية، ترجمة: إبراهيم الصيرفي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، 1965، ص ص 102/95.

تصنيف النص الروائي فكيف تُراها كانت تلك الإسهامات؟ وما موقعها في فضاء النقد الروائي العربي الّذي لم يكن شيئا مذكورا في مرحلة البدايات ولكنّه أضحى اليوم أكثر ألوان النقد العربي حركيّة واجتذابا.

5. الإسهامات العربية في التّصنيف الروائي :

ليس بدعا القول إنّ النقد الروائي العربي ظلّ في معظم مراحل تطوّره عالة على النقد الروائي لدى الغرب، خاصة وأنّ العرب عرفوا الرّواية في شكلّها الفني المتعارف عليه اليوم استنادا إلى منجزات الغرب في هذا الباب، وعليه فإنّ النقد الروائي العربي لم يَخْلُ "من محاولات تصنيفية بدت مشابهة للتصنيفات الغربية في مسمَّياتها وتعدُّدها واختلافها" [1] كما كانت مشابهة لها في تصريحها بصعوبة التَّصنيف لغياب معايير موحدّة بالإضافة إلى طبيعة النّص الروائي دائم التطوّر.

يُصرّح عبد الملك مرتاض بعدم اقتناعه بالتقسيمات الّتي لهج بها عدد من المشتغلين على الرّواية لأنّها -في اعتقاده- "تظلُّ غير مقنعة ولا منهجية مادام الجمع بين أكثر من نوع واحد في رواية واحدة أمرا غير معتاص على أي روائي متمكّن" [2] وهذا ما يبرّر اختلاف الإسهامات العربية في تصنيف النص الروائي كما يُبرّر كثرة الأنواع الروائية الواردة في بعض المعاجم المتخصّصة وبعض الدراسات النقدية الغربية، وقد أشرنا إلى بعض هذا في الصفحات السابقة.

لقد "درج كثير من النقاد العرب على إيراد أنماط عديدة وتسمية كلّ نوع بمصطلح خاص قد يختلف باختلاف الباحثين، أو باختلاف الإبداعات الروائية نفسها، أو باختلاف مواطنها أو باختلاف المراحل الزمنية" [3] ،وهذا ما نشير إليه من خلال عرض الإسهامات العربية التَّصنيفية الآتية *:

---

1 مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، ص137.

ويراجع أيضا : حميد الحميداني، الرّواية العربية بين الواقع المحتمل، ضمن : الرّواية العربية في نهاية القرن .. رؤى ومسارات (أعمال ندوة) سبتمبر 2003، منشورات وزارة الثقافة -الرباط، المغرب، د ط، 2006، ص137.

2 عبد الملك مرتاض، في نظرية الرّواية (بحث في تقنيات السرد)، سلسلة عالم المعرفة (240)، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والأدب - الكويت، دط، 1998، ص14،15.

3 فتيحة عبد الله، إشكالية تصنيف الأجناس الأدبية في النقد الأدبي، ص378،379.

تُعتبر المحاولة التَّصنيفية الّتي قدّمها (عبد المحسن طه بدر) في كتابه (**تطوّر الرّواية العربية الحديثة في مصر**) الّذي صدر في ستينيات القرن الماضي (1963) باكورة في مجالها، من حيث تاريخ صدورها ومن حيث الحقبة الزمنية الّتي اشتغل الباحث على النصوص الروائية الصادرة خلالها وهي الفترة الواقعة بين (1870/ 1938)، وقد أعلن عبد المحسن طه بدر في دراسته الّتي تحوز سبقا زمنيا أنّ كلّ تصنيف لعمل من الأعمال الأدبية الفنية لا بدّ أن يعتمد على السمة الغالبة على العمل، وليس على متخيله النقي والكامل لكلّ صفات النوع، وإلاّ لتعذّر التَّصنيف تعذُّرا كاملا، أو لدخلنا في سلسلة لانهائية من التَّصنيفات"[1] وهذا ما تعرفه السّاحة النقدية اليوم، خاصة في ظِلّ غياب الجهود الجماعية الّتي كان من شأنها لو وُجدت الحدُّ إلى حدٍّ ما من لانهائية التَّصنيفات.

أمّا الأنواع الروائية الّتي صنّف عبد المحسن طه بدر الرّواية المصرية ضمنها فهي :

- الرّواية التعليمية.
- رواية التسلية والترفيه.
- الرّواية الفنية: ويضمّ هذا النوع أنواع فرعية هي (الرّواية التحليلية والرّواية التاريخية ورواية الترجمة الذاتية).

وجليّ من خلال ما سبق اعتماده السمة الغالبة على العمل معيارا للتصنيف، وأبرز آليات التَّصنيف لديه (المضمون) بالإضافة إلى وجود ما يسمّى التَّصنيف التركيبي في النوع الفرعي الأخير (رواية الترجمة الذاتية) ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ الباحث لم يُشر البتة إلى دلالة المصطلحات المستخدمة وبعبارة أدّق لم يقدّم أي توضيح يخصّ التسميات الّتي أطلقها على الأنواع الروائية، والأنواع الروائية الفرعية الواردة في كتابه.

---

* لا نزعم هنا تقديم دراسة نقدية للمحاولات العربية في تصنيف النص الروائي بقدر ما نحاول التعريف بتلك المحاولات وتبيان بعض المعايير المعتمدة في عملية التَّصنيف وكيف أنّ اختلاف المعايير ولّد اختلافا في النتائج.

1 عبد المحسن طه بدر، تطور الرّواية العربية الحديثة في مصر (1870-1938)، دار المعارف -القاهرة، ط4، 1983، ص09.

أمّا الناقد إبراهيم السعافين فيقدّم في كتابه (تطوّر الرّواية في بلاد الشام) التصنيف الآتي:

- الرّواية الكلّاسيكية.
- الرّواية الفنية وتضمّ هذه الأخيرة الأنواع الفرعية الآتية :
  - الرّواية التاريخية.
  - الرّواية الواقعية : التسجيلية – النقدية – الاشتراكية.
  - الرّواية الاجتماعية. [1]

ويقترح الباحث نفسه تصنيفا آخر في كتابة (**الرّواية في الأردن**) الصادر سنة 1995، حيث يُشير إلى نوعين في مرحلة البدايات هما : الروايات المتأثرة بالتراث، والروايات المتأثرة بالرؤية الرومانتيكية، ثمّ يذكر أنواع فرعية هي : التسجيلية، الواقعية والرومنسية، التسجيلية والرومنسية، التسجيلية والفجائعية، ورواية الأجيال، والرّواية الشعرية يضمُّها نوع رئيس هو ما يسميه إبراهيم السعافين الّتيار المتأثر بالرّواية الواقعية، بالإضافة إلى نوعين آخرين هما : الرّواية باتجاه التجريب، والرّواية باتجاه العبث. [2]

يلاحظ قارئ ما يقترحه إبراهيم السعافين أنّه يعتمد أحيانا تصنيفا مذهبيا، ويمزج في بعض الأنواع بين مذهبين، والّذي لا اختلاف فيه أنّ جهده وجهد عبد المحسن طه بدر وحتى الجهود اللاحقة تعتمِد غالبا على السمة المهيمنة على النص مضمونية كانت أم شكلّية أم مذهبية أم زمانية أم غير ذلك من آليات التَّصنيف.

ويقدّم سمر روحي الفيصل تصنيفا يعتمد اعتمادا مطلقا على المضمون تحت مظلة تصنيف مذهبي حيث يتحدّث في كتابه (**الاتجاه الواقعي في الرّواية العربية السورية** [3]) عن الاتجاهات الروائية الآتية :

- الرّواية الاجتماعية.
- الرّواية الوطنية والسياسية.
- الرّواية الريفية.

---

1 ينظر : فتيحة عبد الله، إشكالية تصنيف الأجناس الأدبية في النقد الأدبي، ص381.

2 ينظر : ساندي سالم أبو يوسف، الرّواية العربية وإشكالية التَّصنيف، ص39،38.

3 سمر روحي الفيصل، الاتجاه الواقعي في الرّواية العربية السورية، منشورات اتحاد كتاب العرب، ط1، 1987.

- الرّواية المدينية.

في حين يصنف عبد الشفيع السيد الرّواية المصرية إلى ستة أنواع روائية هي [1]:

- الاتجاه التاريخي.
- الرّواية الأسطورية.
- الرّواية الوجدانية التحليلية.
- الرّواية الاجتماعية.
- رواية النضال الوطني (بعد ثورة يوليو 1952).
- الرّواية التعبيرية.

أمّا الناقد عبد البديع عبد الله صاحب كتاب (**الرّواية الآن**) الصادر سنة 1990، فيقسّم "الإنتاج الروائي العربي منذ الخمسينات إلى الثمّانينات، أقساما خمسة هي : الّتيار الرومانسي (الرّواية التاريخية والرّواية العاطفية)، والّتيار الواقعي (الرّواية الواقعية النقدية، والرّواية الواقعية الاشتراكية)، ورواية تيار الوعي، والّتيار الوجودي، وتيار الالتزام" [2] وهو هنا لا ينوّع في المعايير الّتي يسند إليها في تصنيفه للروايات حيث نلاحظ اعتماده التّصنيف المذهبي مع اطمئنان واضح للسمة المضمونية الّتي تغلب على نصوص كلّ نوع روائي.

وفي النقد المغاربي نشير إلى الجهد التّصنيفي الّذي قدّمه الناقد التونسي بوشوشة بن جمعة في دراسة متميّزة* عنوانها (اتجاهات الرّواية في المغرب العربي) صنّف الناقد من خلالها الرّواية في المغرب العربي إلى ثلاثة اتجاهات رئيسة هي :

- اتجاه التقليد.
- اتجاه التحوّل.
- اتجاه التجديد.

---

1 عبد الشفيع السيد، اتجاهات الرّواية المصرية، مكتبة دار الشباب -القاهرة، ط1، 1988.

2 مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، ص137.

* لم يصدر هذا الحكم اعتباطا، وإنّما بعد دراسة إسهامات الناقد في رسالة ماجستير أشرف عليها الدكتور مخلوف عامر، عنوانها (نقد الرّواية المغاربية .. بوشوشة بن جمعة أنموذجا) وقد نوقشت بجامعة سعيدة بتاريخ 28-جوان-2009.

وقد أشار في الاتجاه الأوّل إلى نوعين روائيين هما : الرّواية الوطنية ورواية السيرة الذاتية، وكذلك فعل في الاتجاه الثاني حيث قسّمه إلى : رواية الواقعية النقدية، ورواية الواقعية الاشتراكية، وذَكَرَ في الاتجاه الرئيس الثالث ثلاثة أنواع فرعية هي : رواية التجريب، ورواية توظيف التراث، ورواية الخيال العلمي، ويُقرُّ الناقد أنّ "مسألة التَّصنيف تزداد عسرا وتعقيدا عند ما يجد الباحث نفسه أمام نصوص روائية تتداخل فيها عديد الأجناس الأدبية الأخرى وتتشابك فالرّواية تستخدم أحيانا أشكالا أدبية وفنية وثقافية تبدو في الظاهر منفصلة عنها (ومن ذلك جنس المذكرات، وجنس الرحلات، وجنس التاريخ..." [1]، وهو لأجل ذلك يستخدم المضمون معيارًا للتصنيف تارة، ويستخدم الشّكل أو المذهب تارة أخرى.

يُصنّف كلّ ما يذكر عن الجهود العربية في التَّصنيف ضمن الاشتغال على معطى نصي خلال فترة زمنية بعينها ويتمخّض عن ذلك ذِكر اتجاهات كثيرة، في حين تجنح دراسات نقدية أخرى إلى الاقتصار على اتجاه روائي بعينه مع التطرق للاتجاهات أو الأنواع الّتي تتفرّع عنه إن وجدت، ومن ذلك -على سبيل المثال لا الحصر- صنيع طه وادي في كتابه الرّواية السياسية [2] ومصطفى عبد الغني في كتابه (الاتجاه القومي في الرّواية العربية) حيث قدّم بيبليوغرافيا تضمّ أكثر من مائة نص روائي يقول إنّها تُمثّل هذا الاتجاه الروائي [3]، ومن ذلك أيضا الفصل الّذي خصّصته يمنى العيد للسيرة الذاتية الروائية في كتابها (الرّواية العربية .. المتخيَّل وبنيته الفنيّة) [4]، والدراسة الّتي قدّمها حليم بركات وخصّصها لنوع روائي يُطلِق عليه تسمية (رواية المنفى) الّتي يقول عنها إنّها "ذات علاقة عميقة بمسائل الإبداع الأدبي والغربة (أقصد بذلك الاغتراب والهجرة معا) وهو ذلك النوع الّذي يصاحبه إحساس عميق بالنفي..." [5]، وهو هنا يعتبر وضعية الكاتب اتجاه مجتمعه ووطنه معيارا للتصنيف، وإذا حاز هذا الطرح

---

1 بوشوشة بن جمعة، اتجاهات الرّواية في المغرب العربي، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار -تونس، ط1، 1999، ص19.

2 طه وادي، الرّواية السياسية، دار النشر للجامعات المصرية، ط1، 1996،

3 ينظر : مصطفى عبد الغني، الاتجاه القومي في الرّواية العربية، سلسلة عالم المعرفة رقم 188، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، دط، 1994، ص ص 301/297.

4 يمنى العيد، الرّواية العربية (المتخيل وبنيته الفنية)، دار الفارابي -بيروت، ط1، 2011، ص ص230/191.

5 حليم بركات، تصوّر للرواية العربية الحديثة .. استكشاف المكان والجذور في رواية المنفى، ضمن : الرّواية العربية في نهاية القرن رؤى ومسارات، ص231.

القبول العلمي النسبي، فإنّ ما قال به أحمد محمد عطيّة لا يحوز ذلك لأنّه يجعل القيمة النقدية للكتاب في آخر اهتماماته، كيف لا وهو يرجو أن يحقّق كتابه أهدافه القومية والسياسية والأدبية الّتي يستهدفها بدراسة الرّواية السياسية العربية"[1]، ولا يصعب على الإنسان استنتاج المعيار الّذي يعتمده أحمد محمد عطية الّذي يتّخذ المضمون معيارا أساسا في حديثه عن الرّواية السياسية العربية.

وعند هذا الحد نقف لنخصّص المحطّة الأخيرة من هذا الفصل للإشارة باقتضاب إلى قضية تصنيف النص الروائي الجزائري في ضوء الدراسات النقدية الجزائرية، وستقتصر إشارتنا على الدراسات المنشورة الّتي خُصِّصت في موضوعها الأساس للتصنيف، سواء تلك الّتي قَدّمت أكثر من اتجاه روائي أو تلك الّتي تُعنى باتجاه واحد، والحقّ أنّ مرادنا هذا لا يدَّعي الإلمام بكلّ الدراسات ذات الصلة بهذا الباب، بقدر ما نروم وضع إسهامات الناقد الجزائري في تصنيف النص الروائي الجزائري في الإطار العام الّذي خُصّص له هذا الفصل، نقصد (النقد وتصنيف النص الروائي).

6. النقد الجزائري وتصنيف النص الروائي الجزائري :

ليس فتحا نقديا القول إنّ الدّراسة الّتي قدّمها محمد مصايف والموسومة بـ (الرّواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقع والالتزام)، الصادرة عن الدار العربية للكتاب بليبيا والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائرية 1983، تُعدّ الإسهام النقدي الجزائري الأوّل في حقل تصنيف الرّواية الجزائرية.

يقع الكتاب في ثلاثمّائة وخمسة عشر صفحة ويتضمّن بالإضافة إلى المقدمة والتمهيد والخاتمة، خمسة فصول، خُصّص كلّ واحد منها لاتجاه روائي، وقد اشتغل مصايف في هذا الكتاب على تسع روايات هي : (ريح الجنوب) و(نهاية الأمس) لعبد الحميد بن هدوقة، و(اللاز) و(الزلزال) للطاهر وطار، و(ما لا تذروه الرياح) و(الطموح) لمحمد عرعار العالي، و(نار ونور) لعبد الملك مرتاض، و(الشمس تشرق على الجميع) لإسماعيل غموقات، و(طور في الظهيرة) لمزراق بقطاش، ويُصنِّف مصايف هذه الروايات ضمن الاتجاهات الآتية :

---

1 أحمد محمد عطية، الرّواية السياسية العربية، مكتبة مدبولي –القاهرة، دط، د ت، ص13.

- الرّواية الإيديولوجية : صنّف ضمن هذا الاتجاه كلّ من روايتي (اللاز) و(الزلزال) للطاهر وطار.
- الرّواية الهادفة : وحلل من خلالها هذا الاتجاه روايات : (نهاية الأمس) لعبد الحميد ابن هدوقة، و(نار ونور) لعبد الملك مرتاض، و(الشمس تُشرق على الجميع) لإسماعيل غموقات.
- الرّواية الواقعية : درس هاهنا رواية (ريح الجنوب لعبد الحميد ابن هدوقة) و(طيور في الظهيرة) لمرزاق بقطاش.
- رواية التأملات الفلسفية : عُني في هذا الاتجاه برواية واحدة هي (الطموح) لمحمد عرعار العالي.
- رواية الشخصية : وقد خصّص هذه المحطّة لدراسة رواية (مالا تذروه الرياح) لمحمد عرعار العالي، ويعترف محمد مصايف قبل كلّ هذا أنّ الروايات قابلة للتصنيف في اتجاهين أو -على حدّ تعبيره- في موقفين "موقف الواقعية الاشتراكية الّذي يُمثّله الطاهر وطار، وموقف الواقعية النقدية الّذي يمثله معظم الكتّاب الآخرين" [1] ويَصلُح هذا الطرح إلى حدٍّ كبير على جلّ نتاجات تلك المرحلة.

يعتمد مصايف في عمله التّصنيفي موقف المؤلف ومضمون العمل مطيّة يبرّر من خلالها ما يذهب إليه، فهو عندما صنّف روايات اللاز ضمن الرّواية الإيديولوجية وأكّد انتماء أعماله الإبداعية إلى تيار الواقعية الاشتراكية مثلا اتخذ من كلّمة المؤلف الّتي صدّر بها روايته (اللاز) معيارا أجاز له ما فعل، والأمر نفسه يقال عن الكلّمة الّتي صدّر بها وطار روايته (الزلزال) حيث يقول :"وأختم كلّمتي هذه، المضطربة، لأنّها مرتجلة، بالقول إنّ الأدب الاشتراكي، والبطل الاشتراكي لم يولدا في الجزائر ... إلاّ في الأدب المكتوب باللغة العربية، وإنّني كواحد من كتاب اللغة بالعربية أفتخر بهذا وأعتزُّ به" [2]، والحق إنّنا ننوي العودة إلى مثل هذه التصريحات المساعدة في عملية التّصنيف في

1 محمد مصايف، الرّواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب-تونس والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1983، ص11.

2 الطاهر وطار، الزلزال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع -الجزائر، دط، 1980، ص06.

الفصل الأخير من هذا العمل وذلك في محطة خاصة بسؤال التأطير الأجناسي في الرّواية الجزائرية، وبالطبع سيتمّ التركيز هناك بل الاقتصار على الرّواية الصادرة في الفترة ما بين (1990،2010) وهي الفترة الّتي عزمنا محاولة تصنيف نصوصها إلى اتجاهات.

إنّ المحاولة التّصنيفية الّتي قدّمها مصايف ورغم صدورها في فترة لم يحقّق فيها النص الرّوائي الجزائري المكتوب بالعربية تراكما كميا معتبرا، إلاّ أنّها تُعتبر بحق باكورة العمل التّصنيفي في النقد الرّوائي في الجزائر، حيث كان من الضروري ظهور دراسات تصنيفية أخرى تُكمِّل الأولى على الأقل من ناحية الاشتغال على نصوص أغفلها مصايف من جهة وعلى نصوص لم تكن قد صدرت بعد عندما أصدر كتابه (الرّواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام).

استنادا إلى ذلك تكون الدراسة الموسوسة بـ (اتجاهات الرّواية العربية في الجزائر- بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرّواية الجزائرية) الصادرة سنة 1986، أوّل عمل نقدي أكاديمي جزائري يُعنى بتصنيف النص الروائي الجزائري المكتوب بالعربية، لأنّ صاحبها تقدّم بها لنيل درجة الماجستير بجامعة دمشق.

تتميّز محاولة واسيني الأعرج التّصنيفية باشتغالها على أكثر من عشرين نصا روائيا، كما تتميّز باهتمامها بما يسمّى نصوص البدايات في تاريخ الرّواية الجزائرية المكتوبة بالعربية، نقصد النصوص الّتي صدرت قبل رواية (ريح الجنوب)، بالإضافة إلى تقديم واسيني اتجاهات مغايرة لتلك الّتي صنّف مصايف الرّواية ضمنها رغم وجود تقاطع بين إسهام كلّ منهما خاصة لحظة تصنيف أعمال وطار ضمن اتجاه : رواية الواقعة الاشتراكية.

ونستطيع القول إنّ عمل واسيني اعتمد الانتماء المذهبي لكلّ نص روائي كما اعتمد المضمون والتّوجه الّذي ينتمي إليه المبدع ويتجلى ذلك من خلال الاتجاهات الأربعة الّتي صنّف النصوص المختارة ضمنها وهي :

- الاتجاه الإصلاحي : ويضُّم الروايات الآتية : (غادة أم القرى) الصادرة سنة 1947 لأحمد رضا حوحو، ورواية (الطالب المنكوب) لعبد المجيد الشافعي وقد صدرت سنة 1951، ورواية (صوت الغرام) لمحمد المنيع الصادرة سنة 1967، ورواية

(نار ونور) لعبد الملك مرتاض الصادر سنة 1975، ثـمّ روايـة (حوريـة) لعبـد العزيـز عبد المجيد وقد صدرت هذه الأخيرة سنة 1976.

معظم النصوص المصـنّفة ضـمن الاتجـاه الإصـلاحي تعـود لفـترة البـدايات، خاصة فترة قبل وأثناء خمسينيات القرن الماضي وواضح أنّ ما كُتب خلال تلك المرحلـة "ينتمي في معظمه إلى الفكر الإصلاحي الّذي رعته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"[1]، والحديث عن الإطار العام الّذي ينتمي إليه إبداع الكاتب شكّل بالإضـافة إلى مضـمون الرّوايات معيارا للتصنيف.

- الاتجاه الرومنتيكي : عدد الرّوايات الّتي أدرجهـا الأعـرج ضـمن هـذا الاتجـاه ستّ روايات هي : (ما لا تذروه الرياح) لمحمد عرعار العالي، وهي الرّواية الّتي صنّفها مصايف ضمن اتجاه سمّاه رواية الشخصية، ورواية (نهاية الأمس) لابـن هدوقـة وقـد صنفها مصايف ضمن اتجاه الرّواية الهادفة، ورواية (دماء ودموع) لعبد الملـك مرتـاض (1975)، و(الشـمس تشـرق علـى الجميـع) 1978 و(الأجسـاد المحمومـة) 1979 لاسماعيل غموقات و(حب أم شرف) 1978 للشريف شناتلية.

- الاتجاه الواقعي النقدي : اشتغل من خلاله على روايات (الحريق) لنور الـدين بوجدرة، الصادرة سنة 1957، ورواية (ريح الجنوب) 1970 لعبد الحميد بـن هدوقـة، و(طيـور في الظهـيرة) 1978 لمحمـد بقطـاش، وروايـة (علـى الـدّرب) لحـاجي محمـد الصادق وقد صدرت سنة 1977، ورواية (الطموح) 1978 لمحمد عرعار العالي، هـذه الرّواية الّتي أفرد لها مصايف اتجاه سماه (رواية التأملات الفلسفية)، وقد درس واسـيني كذلك ضـمن هـذا الاتجـاه (الـواقعي النقـدي) روايـة (قبـل الزلـزال) 1979 لعـلاوة بوجادي.

- أمّا الاتجـاه الأخـير وهـو الاتجـاه الـواقعي الاشـتراكي فقـد خصّـص لـبعض روايات الطاهر وطار وهي : (اللاز) 1972، و(الزلزال) 1972، و(العشـق والمـوت في الزمن الحراشي) 1979، و(عرس بغل) 1978، و(الحوّات والقصر) 1980.

يعتمد واسيني الأعرج في تصنيفه روايـات وطـار ضـمن هـذا الاتجـاه الموقـف الفكري للمبدع وهو نفس صنيع مصايف مع نتاجات وطـار، ويعتمـد واسـيني كـذلك

1 محمد خان، الأدب الإصلاحي في الجزائر، علامات في النقد، النادي الثقافي بجدة، العدد 49، 2003، ص390.

طبيعة الشخصيات الرئيسة وعلى طبيعة المادة الروائية عموما لأنّه ينطلق من مسلّمة أنّ "المادة الروائية في معظم روايات وقصص وطار هي البطل الرئيس، وهي أوّلا وأخيرا المؤهلة للتعبير عن الهمّ الجماهيري بكلّ شمولية وصدق"[1] وبالطبع لا يجد قارئ روايات وطار صعوبة في استنتاج ذلك.

لقد أصدر واسيني الأعرج بعد كتابه (اتجاهات الرّواية العربية في الجزائر) دراسة تصنيفية أخرى عُني فيها باتجاه واحد هو (الرّواية الواقعية) لدى الطاهر وطار وقد صدر هذا الكتاب سنة 1989 وعنوانه (الطاهر وطار تجربة الكتابة الواقعية .. الرّواية نموذجا)، ونستطيع التأكيد في حدود ما حصلنا عليه من معلومات أنّه لا وجود لدراسة نقدية جزائرية منشورة اعتنى فيها صاحبها بأكثر من اتجاه روائي بعد كتابي مصايف وواسيني الأعرج*، باستثناء بعض الدراسات الّتي كانت تُخصِّص كلّها أو بعضها لرصد اتجاه بعينه ومن ذلك صنيع مخلوف عامر الّذي أبدى اهتماما كبيرا بالأدب الجزائري، حيث خصّص كتابا لرواية توظيف التراث عنوانه (**توظيف التراث في الرّواية الجزائرية**) وقد صدر سنة 2005، وكتاب (**المتخيّل والسلطة .. في علاقة الرّواية الجزائرية بالسلطة السياسية**) الصادر سنة 2000 لصاحبه علال سنقوقة، الّذي اشتغل فيه على الرّواية السياسية الجزائرية، وفي ذلك يقول :"إنّنا عند ما نطّلع على الرّواية الجزائرية السياسية في تطوّرها التاريخي نشعر بحركة التاريخ الوطني السياسي يتحرّك فيها، إذ أنّها تأخذ بُعدها المضموني من تطورات التاريخ الوطني"[2] والأكيد أنّ ما يُسميه (الرّواية السياسية) تتوفّر بعض دلائله في جلّ النصوص الّتي حلّلها مصايف وواسيني وهي نفسها الرّواية الّتي أطلق عليها مخلوف عامر وعدد كبير من النقاد الجزائريين مسمّى (رواية الثورة) أو (رواية استحضار التاريخ الوطني).

---

1 واسيني الأعرج، اتجاهات الرّواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب –الجزائر، د ط، 1986، ص556.

* تبلورت هذه القناعة لدينا منذ مرحلة التدرج عندما قدمنا رسالة عنوانها (الرّواية في الخطاب النقدي الجزائري) لنيل شهادة الليسانس (جامعة سعيدة 2006)، ويذهب الناقد التونسي بوشوشة بن جمعة المذهب نفسه في كتابه : النقد الروائي في المغرب العربي إشكالية المفاهيم وأجناسية الرّواية، مؤسسة الانتشار العربي –بيروت، ط1، 2012، ص ص196/198.

2 علال سنقوقة، المتخيّل والسلطة .. في علاقة الرّواية الجزائرية بالسلطة السياسية، منشورات الاختلاف –الجزائر، ط1، 2000، ص290.

عرف النقد الروائي الجزائري سنة 2005 صدور دراسة تصنيفية قصيرة، هي عبارة عن مقال عنوانه (إشكالية تجنيس الرّواية الجزائرية التسعينية) لصاحبه جعفر يايوش، وهذه الدراسة القصيرة تعدّ الدراسة المنشورة الوحيدة الّتي تُعلن عن نفسها محاولة تصنيفية للرواية الجزائرية التسعينية، تضاف إلى إسهامي مصايف وواسيني.

ولكنّ هذه الدراسة تحمل دلالات قصورها في نفسها وهذا ليس حكما جائرا نُصدره وإنّما نتيجة تجلّت بعد الاطّلاع على مضمون الدراسة الّتي تقع في أقل من عشرين صفحة، صنف خلالها نماذج روائية كثيرة (حوالي عشرين نصا) وقدّم صاحب الدراسة رأيه في انتمائها دون استناد إلى معيار غير مضمونها، ويقول في ذلك "وسنصنّف أوّلا الرّواية الجزائرية لفترة التسعينات من خلال موضوعها" [1] ثمّ يقدّم جدولا يُصنّف فيه حوالي عشرين نصا روائيا، غير أنّه كما يلاحظ القارئ يصنّف العمل الواحد أحيانا ضمن أكثر من اتجاه، ويقترح بعض التّصنيفات غير المنطقية كقوله مثلا إنّ رواية (ذاكرة الجسد) لأحلام مستغانمي رواية إباحية، وكوصفه الرّواية الجزائرية في مرحلة السبعينات بأنّها رواية سياسية تارة وبأنها رواية ثورية [2] تارة أخرى، ثمّ يصف بعض الروايات الجزائرية الّتي صدرت في ثمّانينات القرن الماضي (خاصة تلك الّتي عارضت الخطاب الرسمي السائد) بأنّها رواية المعارضة [3]، ويَستخدم كذلك للدلالة عليها مصطلح الرّواية الواقعية، بينما يصف الروايات الصادرة في تسعينات القرن الماضي بأنها رواية تسعينية في البداية ثمّ يقول عنها إنّها رواية ما بعد حداثية [4].

ويعود الباحث إلى روايات أحلام الّتي قال إنها روايات إباحية ليصفها بالرّواية الانسيابية [5]، كما أنّه يصنّف رواية (متاهات الدوائر المغلقة) للروائي حبيب

---

1 جعفر يايوش، إشكالية تجنيس الرّواية الجزائرية التسعينية، ضمن : مجموعة من المؤلفين : أسئلة ورهانات الأدب الجزائري المعاصر، دار الأديب للنشر والتوزيع، دط، 2005، ص10.

2 ينظر : جعفر يايوش، إشكالية تجنيس الرّواية الجزائرية التسعينية، ص 09.

3 ينظر : جعفر يايوش، إشكالية تجنيس الرّواية الجزائرية التسعينية ، ص9.

4 ينظر : نفسه، ص18.

5 ينظر : نفسه، ص18.

موسى ضمن اتجاه الرّواية الفكرية وسنرى أنّه قال إنها رواية واقعية في الجدول الآتي [1] الّذي سنورده حرفيا لتبيان تصنيفه للرواية الواحدة ضمن أكثر من اتجاه :

المؤلف	عنوان الرّواية	الموضوع المحوري	تصنيف الرّواية
إبراهيم سعدي	النخر	جدلية العلاقة بين الرجل والمرأة	الرّواية الواقعية، الاجتماعية الإباحية
أحلام مستغانمي	ذاكرة الجسد	الجنس، الدين والسياسة	الرّواية السياسية والإباحية
أحلام مستغانمي	فوضى الحواس	الجنس، الدين، السياسة	الرّواية السياسية، الإباحية اللامعقول
الأزهر عطية	خط الاستواء	المدينة	الرّواية السريالية
بقطاش مرزاق	خويا دحمان	الذاكرة الشعبية بين التراث والحداثة	الرّواية الاجتماعية والتاريخية
بن قينة عمر	مأوى جان دولان	المهجر الاغتراب، صراع القيم ومسألة الهوية	الرّواية الواقعية والإيديولوجية
جلاوجي عز الدين	سرادق الحلم والفجيعة	المدينة وصور الموت والإرهاب	رواية اللامعقول، السريالية والرمز
حفناوي زاغر	ضياع في البحر	صراع القيم	الرّواية الإيديولوجية
احميدة عياشي	متاهات ليل الفتنة	الجنس، الموت، والإرهاب	رواية اللامعقول والوجودية
خدوسي رابح	الغرباء	الآفات الاجتماعية والإرهاب	الرّواية الواقعية والاجتماعية
رشيد بوجدرة	تيميمون	الإرهاب	رواية اللامعقول والوجودية
قرطبي خليفة	تماسيح المدن المنسية	المدينة وذكريات الثورة	الرّواية الواقعية
مفتي بشير	أرخبيل الذباب	الجنس الموت	رواية اللامعقول
مفتي بشير	شاهد العتمة	الجنس والموت	رواية اللامعقول

1 نفسه، ص12،11.

مونسي الحبيب	متاهات الدوائر المغلقة	المرأة والمجتمع، الجنس والموت بين الريف والمدينة	الرّواية الواقعية
واسيني الأعرج	الليلة السابعة بعد الألف	الحياة والموت، التاريخ والهوية	الرّواية الرمزية، والسريالية والتاريخية
واسيني الأعرج	حارسة الظلال	التاريخ والهوية، الجنس والسياسة الحياة والموت	الرّواية التاريخية، السريالية والرمزية
وطار الطاهر	الشمعة والدهاليز	الإرهاب في التسعينات وصراع الهوية	الرمزية والوجودية
وطار الطاهر	الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي	الإرهاب في التسعينات، الهوية والتاريخ	الرمزية، السريالية والوجودية

ولا ضير من القول في نهاية هذا البحث إنّ المحطات الآتية منه ستُخصَّص لرصد اتجاهات الرّواية المكتوبة بالعربية في الجزائر في الفترة ما بين (1990و2010) معتمدين في ذلك السمة الغالبة على كلّ نص، مضمونية كانت أو شكلّية، وعليه نروم تصنيف النصوص الروائية المختارة ضمن الاتجاهات الآتية :

1) رواية استحضار التاريخ ، ونُشير من خلال هذا الاتجاه إلى نوعين فرعيين هما :
   - رواية استحضار التاريخ الوطني .
   - الرّواية التاريخية.
2) رواية الأنا ويضمُّ هذا الاتجاه :
   - رواية السير الذاتية.
   - رواية التخييل الذاتي.
3) رواية الخيال العلمي.

دون زعم تفرُّد هذا العمل فهو مجرّد محاولة أراد من خلالها صاحبها الاقتراب من محمولات الرّواية الجزائرية في العشرين سنة الأخيرة قدر الاستطاعة وفي حدود ما توفّر من مادة معرفية.